حياة الفقيد الدكتور/ عبدالكريم -يرحمه الله- في سطور

ولد فقيدنا الداعية ـ رحمه الله ـ في مدينة حماة عام ١٩٢٩م لأبوين مشهود لهما بالورع والتقى.

حصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٤١م، ثم التحق بثانوية ابن رشد ليتابع تحصيله.

تقرر إيفاده في بعثة إلى جامعة القاهرة عام ١٩٤٧م لينال الشهادة العالية في الفلسفة وعلم الاجتماع، فنال درجة الامتياز طوال السنوات الأربع ومارس الكتابة أثناء الدراسة في عدة مقالات عن التأمينات الاجتماعية في الإسلام نشرت في جريدة المنار الدمشقية.

عمل ـ رحمه الله ـ مدرساً في مدينة دير الزور، فخلف فيها من الآثار ما لا ينسى، ثم عمل في مدينتي حلب وحماة، فكان نعم المدرس الداعية بعلمه وسلوكه.

أوفدته وزارة التربية إلى جامعة القاهرة عام ١٩٦٠م ضمن مجموعة من المتفوقين للحصول على شهادة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، وقد حصل عليها بعد خمس سنوات بمرتبة امتياز.

نشر عدداً من المقالات في عدة مجلات منها (حضارة الإسلام).

عمل مدرساً للثقافة الإسلامية في جامعة الرياض وكان هذا العمل أخصب أيام حياته وأغناها.

كانت الدعوة ـ من خلال ذلك كله ـ شغله الشاغل .

كانت وفاته في مدينة حماة عصر الأربعاء ٢١ رجب الخير ١٣٩٢هـ بعد مرض لم يمهله طويلاً رحمه الله وغفر له وأكرم مثواه .

حتى يأتيَ أمرُ الله (*)

كانت أياماً مذكورة في التاريخ، تلك التي كان الفرد فيها عنصراً فعالاً مؤثراً، له وجوده الذاتي القائم على العقيدة الصحيحة والبنية الفكرية المتكاملة، ومن وراء ذلك الإرادة والحركة، مما جعله يدرك أن له قضية، وأنه يجب أن يعيش لها، وأن أبعاد حركته لا تحدُّها ضروراته الفردية وكفى.. الأمر جعله قادراً على العطاء في ساحات العطاء، لا تختل عنده القيم ولا تضطرب الموازين.. علماً وعملاً وجهاداً، وتفانياً في سبيل الحفاظ على كل ما من شأنه سلامة كيان الأمة، وتدارك ما فاتها في حالكات الليالي، وقدرتها الحضارية في ميزان الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والذي اختار لهذه الأمة وسطية تسعدها وتسعد الناس ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾.

يستند ذلك إلى مقومات أساسية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.. إنها عقيدة التوحيد التي تعمل عملها في بناء الفرد والجماعة.. ومع هذه العقيدة حراستها، والقيام على أن يكون لها سلطانها في المجتمع وذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي كلٍّ من المعروف والمنكر من الشمول ما لا يخفى على ذي بصيرة. وما أوسعه من مدلول حضاري، وما أعظمه من نظام متكامل، أن يكون كل فرد في الأمة حارساً

(*) مجلة حضارة الإسلام: العددان السابع والثامن، السنة الثالثة عشرة، رمضان، شوال ١٣٩٢هـ، أيلول، كانون الأول ١٩٧٢م.

لعقيدة الأمة، قيّماً على أن يكون لها سلطانها وآثارها في تحركات الجماعة والمجتمع، وأن يشعر هذا الفرد بوجوده، وبقضيته التي تشدها إليها العقيدة، حين يقف موقف المسؤول عن تلك العقيدة في نفسه وفي الآخرين؛ وذلك ما ملَّك الأمة أسباب القدرة على أن تقف للزعازع في الماضي وتواجه التحديات، ولا يشغلها ذلك كله عن الانسياح في الأرض، حيث الفتوح العظيم الذي ركز رايات الإيمان والعدالة، وأزاح الظلم عن كاهل الإنسان، ومهَّد للعلم أرحب آفاقه، وللمعرفة أوسع ساحاتها، وكانت الحضارة، وكان إنسانها الذي تظلله راية الإسلام.

ولقد يكون عنوان حرص الأمة على استرداد أمجادها واستئناف الطريق إلى حيث تقرر مصيرها بنفسها على هدي ما تريد، وأن لا يقضى بشأنها وهي غائبة غافلة، وتقتسم تركتها وهي لاهية ساهية... لقد يكون عنوان حرص الأمة على ذلك كله أن تقوم بمراجعة شاملة واعية لتعريف الإنسان المسلم وكينونته الكاملة من حيث ثقافته عقلاً وقلباً ـ بالمعنى الأوسع ـ وتصوراته، وقدرته على العطاء، والأمور التي ينبغي أن تكون نصب عينيه، تحظى منه باهتمامات هي أوسع مدىً، وأبلغ في التعبير عن صدق نسبته إلى هذه الأمة في هذه المرحلة التي تواجه فيها الأمة حصاد السنين العجاف، ورصيداً لا تحسد عليه من التخلف المادي، مما كان ـ إلى جانب مؤامرات الأعداء ومخططاتهم المقيتة ـ أثراً من آثار الانحراف عن طريق الإسلام كما هو في منابعه الأولى، وكما قدمه لنا الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

في عـمله وسلوكـه وجـهـاده، ومن بعـده سلفنا الصـالح عليـهم الرحـمـة والرضوان.

وحين تقوم هذه المراجعة بأمانة وفي مواجهة جادة للواقع، نستطيع أن ندرك أي حاجة، بل أي ضرورة تواجهنا في سبيل بنية جديدة للإنسان المسلم، نُعدُّ لها من أساليب التربية والتكوين ما يؤهله للمسؤولية التي يراد له أن يحمل أعباءها في إطار القاعدة الصلبة التي يقوم على كواهلها البناء، مستضيئة بلهيب الأذى يلفح وجود الفئة القليلة المؤمنة في العهد المكي، وبالدم الزكي المعطار يمحص ويطهر على أرض الجهاد في العهد المدني.

وليكون التكامل مضموناً لابد أن يسير العمل في طريقين: **أولهما**: تهيئة المناخ الملائم الذي يتيح فهم الإسلام وتمثله علماً وعملاً في العقيدة والسلوك لتصح النسبة إلى الأمة المجاهدة. **وثانيهما**: الإفادة من الثروة التربوية عندنا وعند غيرنا مع وضع كل تجربة كانت لنا أو لغيرنا موضعها الصحيح.

وهنالك يكون بمقدور الفرد أن يتابع الرحلة ضمن إطار الجماعة، بعيداً عن الكسل العقلي، والتهالك النفسي، لأنا قد فتحنا له منافذ الخير، وسمحنا لطاقاته أن تتفاعل مع الحياة، ولمواهبه أن تنتج في طريقها الطبيعي، الأمر الذي يجعل من ذلك كله روافد على طريق الأمة الطويل.

فمما تقضيه طبائع الأشياء، أنا حين نريد من الفرد أن يكون لبنة صالحة في البناء، لابد أن تكون له البنية الصالحة التي يشعر فيها بذاته ووجوده ـ كما أسلفت ـ مما يجعله صحيح النسبة إلى أمته، مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بقضيته،

حتى تستأثر باهتمامه، وحتى يكون شعوره ـ بما يلقى عليه من أعباء، وما يطلب إليه من واجبات تمليها رسالة تلك الأمة ـ أصيلاً بعيداً عن التكلف والمداهنة، أو المنفعة القريبة العاجلة.

ولكن حين نغمض العين عن كل المقومات الأساسية في هذا المضمار، يكون من التناقض بمكان أن نطالب الفرد بالعطاء، وأن ننعى تخلفه عن أن يأخذ موقعه الطبيعي في بناء القاعدة الصلبة التي هي محلُّ نظر الله وعنايته والتي يسعدها أن تكون على مستوى الأمانة التي عزت بحملها الأمة وأخذت مكانها تحت الشمس.

وإذا كانت النَّصَفة لتراثنا الحي الذي يفيض بالمعرفة والخير تقتضينا أن نفتح القلوب والعقول لمشرق شمسنا الأولى، يوم أضاء الوحي ربوع مكة بسناه، فلنذكر أي عناية أولاها الإسلام لهذا الذي نتحدث عنه، وهاك واحدة من لمحات هذا السَّنى، حيث يعاتب الله نبيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، من أجل فرد مكفوف البصر هو عبدالله بن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ بعد النظر في هذا العتب الكريم، لاحظ قوله جلّ شأنه: «يزَّكَّى». . «فتنفعه الذكرى». متبيناً وزن ذلك في ميزان القيم التي أراد القرآن أن تكون المحور في حياة الفرد والجماعة.

ألا ما أكرم هذا الذي جاء به المنهج الإلهي من العناية الربانية في بنية هذا الإنسان الذي خوطب بعقيدة التوحيد؛ كيما يكون أهلاً للحركة في إطار

الجماعة المسلمة التي أريد لها أن تشق طريق الحياة بعناصر الحياة، وأن تبني بتضحياتها وصبرها على مشقات الطريق حضارة الإنسان بتوازن وعمق وشمول.

وما أسرع ما آتى هذا المنهج أُكُله في تلامذة محمد ـ صوات الله وسلامه عليه ـ وأتباعه، حتى في المرأة العادية، التي لا يظن للوهلة الأولى أن تكون لها تلك الآفاق العلوية التي تتسم بالعمق وسلامة التصور. هذا أبو بكر وعمر ينقلان الخطى إلى أم أيمن (بركة) حاضنة الرسول، في زيارة لها بعد وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ ففي حسن الصلة بها وتفقد شؤونها ـ في حدود آداب الإسلام ـ، وفاء أي وفاء له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، خصوصاً وهما يعلمان ما كان من حرصه على رعايتها وإكرامها. وتنظر أم أيمن إلى الصالحين الماجدين الكريمين فتبكي.. وتبكي. ويحسبانها تبكي عاطفة لفقد رسول الله ـ صلى الله وسلم عليه ـ وكفى.. ويكون من قولهما لها مواساة وتلطفاً، أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله وأبقى؟ فيكون من جوابها كلمات هي من أعلى وأغلى ما قالته بنات حواء: «إنما أبكي انقطاع الوحي من السماء».

أرأيت إلى أم أيمن، وقدرَ الوحي في نفسها، الأمر الذي ينبئ عن سلامة تصورها لهذا الغيث العميم الذي رحم الله به الإنسانية وهو يتنزل خلال ثلاثة وعشرين عاماً على رسول الله.. أليست الأمة التي من أفرادها هذه

المرأة العجوز، جديرة بأن تدق أبواب الحياة فتفتح لها على مصاريعها، وأن تمسك بزمام الحضارة التي أسلمت الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ولو رحت تقوم بعملية استقصاء على عيّنات من المجتمع يومذاك، لرأيت من نتائج الاستقصاء العجب العجاب، الأمر الذي يجعلك تحكم بأن ما حصل من ثبات البنيان والقدرة على الاستمرار تلك القرون المتطاولة: إنما كان نتائج طبيعية لمقدمات طبيعية، فليس من طاقة مهدرة، ولا جهد مضاع، وكل الطاقات توظف في سبيل رسالة الأمة في العالمين، ثمرة للبنية التي نشير إليها بهذه الكلمات: وأول ما يفجؤك أن الأمر ليس خصوصية في قطاع معين من الناس وإنما هو طابع مميز، وقدر مشترك بين العالم والمتعلم، والحاكم والمحكوم، والكبير والصغير.. حتى رأينا عمر بن الخطاب يمشي مرة في واحد من أزقة المدينة فيصادف نفراً من الصغار يلعبون، وعندما يرونه يلوذون بالفرار إلا طفلاً واحداً لم يبرح مكانه، وظل ثابتاً لا يتحول، ولفت نظر عمر هذا التصرف، فقال للغلام: ما لك لم تهرب كما فعل رفاقك؟ وكان الجواب الذي رسم في تاريخ أمتنا سطوراً لا تبلى، قال الطفل: يا أمير المؤمنين، ليست الطريق ضيقة فأوسعها لك، ولست مقترفاً ذنباً فأخاف منك. فاستأثر الطفل بإعجاب عمر، وعندما سأل عنه عرف أنه عبدالله بن الزبير. لقد كان أمراً عظيماً أن يقف للكلمة أمير المؤمنين الذي تهتز الأرض لكلماته يلقيها من مدينة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولكن الذي لا يقل عن ذلك عظمة في مدلوله أن يقول طفل لعمر مثل هذا الكلام..

وهذا رجل يقول لعمر: اتق الله يا عمر، فيقول قائل: ألمثلِ أمير المؤمنين يقال هذا الكلام؟ ويكون جواب الإنسان الذي عرف الجاهلية والإسلام، وأن خيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، يكون جواب عمر الحاكم أمير المؤمنين: «دعه، لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها».

ألا ليت لنا آذاناً تسمع وقلوباً تعي، حتى نعلم في وطننا الكبير كيف يمكن للمواهب أن توظف في سبيل القضية العامة، وللطاقات أن تجند كيما نبلغ الهدف الكبير، ولا نكون هملاً في نظر الأقوياء، ذاكرين أن ما نعتز به من مفاخر أمتنا من ثروة حضارية ومعرفة إنسانية وأعلام كانوا ضياء الزمان، لم يكن وليد العبث والمصادفة، وإنما كان وليد عقيدة كرمت الإنسان وفتحت أمامه كل الآفاق التي يستطيع معها أن يكون في خدمة أمته على طريق موصولة بالقرآن تلاوةً وتدبراً، عملاً بأحكامه ووقوفاً عند أوامره ونواهيه، واستمساكاً بآدابه وأخلاقه. ولا بدع فتلك هي السبيل التي سنها رسول الله لأمته حتى قالت عائشة عندما سئلت عن خُلُقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «كان خلقه القرآن».

ولقد فهم عمر هذا الارتباط الطبيعي بين العمل بالقرآن وبين تكوين الإنسان المسلم بحيث يكون ذلك سمة له يعرف بها، وأثر ذلك في المجتمع، من إحقاق الحق، والقيام بأداء ما تمليه أخلاق القرآن، حتى يكون العاملون بذلك من أهل القرآن، في توكل صادق على الله، وتصديق بأن الآجال

بيده، وأن الأرزاق من عنده، فهو المحيي وهو المميت وهو المعطي وهو المانع وهو على كل شيء قدير. قال رحمه الله: «اقرؤوا القرآن تُعرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، ولن يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ولن يقرب من أجل، ولن يباعد من رزق: أن يقوم رجل بحق، أو يذكّر بعظيم».

ولئن كانت الأمانة أثقل ما تكون على كواهل الرواد عند اقتحام هذا المرتقى الصعب في أنفسهم وفيمن يرون فيهم معلماً من معالم القدوة والتأسي.. لقد طوتهم بشارة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالفضل والتكريم حين قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو لا ينطق عن الهوى: [**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**].

العيدُ.. في بعض معانيه (*)

في خضم التساؤلات التي تجري في كل مناسبة على لسان الفرد العادي والإنسان المثقف، والمجرب الخبير، لماذا تبدو أمتنا غير قادرة على الإفادة من مناسباتها الإسلامية التي أسهمت في صنع التاريخ، ومن وقائعها التاريخية التي كانت جزيلة العطاء للإنسان ولحضارة الإنسان؟ ولماذا يكون موقفها موقف المتفرج العابث الذي لا تهمه الواقعة في قليل ولا كثير، فهو لا يتفاعل معها، ولا تبدو بينها وبينه آصرة نسب... حتى تراه أشبه بواحد من نظارة المسرح يهمه أن يمضي الوقت لاهياً ساهياً، ثم ينقلب إلى حياته العادية الرتيبة من جديد؟؟ لماذا.. ولماذا.. والوقائع تفرض نفسها، وفي كل يوم جديد يدعو إلى هذا التساؤل.. والأكثرون في غفلة عن الجواب الذي يحمل صاحبه إلى ساحة الالتزام.. وهو أن الأمر يتوقف على الإرادة الصادقة في التغيير، الإرادة التي تولد ما تولد من نتائج، وتبدل ما تبدل من أساليب، وعندها تستمطر رحمات الله، ويتنزل عونه وفضله على عباده المؤمنين، الذين يصدقونه فيصدقهم، وتصح منهم العزيمة على ما يجب أن يكون فيأتيهم نصره إن عاجلاً أو آجلاً.. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

هكذا وفي خضم هذه التساؤلات تبدو مناسبة عيد الأضحى المبارك وهي واحدة من مناسبات كثيرة تفرض سلامة التصور، وضرورة الوقوف عند

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الثالث عشر، السنة الثالثة عشرة، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٢هـ، كانون الثاني وشباط ١٩٧٣م.

حدود الشرعة التي ينبغي أن تكون محور حياة المؤمن، تحدد أهدافه، وترسم أبعاد حركته، كما تفرض وراء ذلك حسن الإفادة من الماضي للحاضر والمستقبل، لكي يكون موقف الفرد الذي ينتمي إلى هذه الأمة الخيِّرة، موقف التفاعل والإيجابية، وهو موقف يجعل العيد حلقة من حلقات الحركة الواعية البناءة في طاعة الله، لا حقبة زمنية عابثة محكوماً عليها بالموت.

فالعيد في مغزاه وأصل مشروعيته ـ وأرجو أن لا يكون هذا من مكرور القول ـ لم يكن أمراً طارئاً على كيان الأمة في بنائها الجديد الذي رفع قواعده محمد بن عبدالله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، بل هو منسجم كل الانسجام مع الذي أكرمها الله به في بعثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بعيداً عن كل موروثات الجاهلية الجهلاء.. وما كان من أمراض اجتماعية وخلقية.. وفيما أخرجه أبو داود والنسائي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: **قد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر**».

وهكذا يطل هلال العيد على الأمة، فيكون فرحة بفضل الله تعالى الذي وفق للعبادة، وإقامة شعائر الله، وسلوك السبيل المؤدية إلى مرضاته، ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾. ويكون من بعد عنواناً على التكامل في حياة المسلم الذي ينظر إلى الحياة من وجهيها المادي والروحي، ففيه فسحة ونوع من الترويح عن النفس في حدود المشروع،

فالزمن ليس ظرفاً للكدِّ والجهد وكفى . . ولكن لابد من ساعة وساعة . . ولا عليك أيها المسلم، ما دام الاستمتاع بزينة الله التي أخرج لعباده محكوماً بضوابط التلقي عن الشارع الحكيم.

والعيد ـ فيما وراء ذلك ـ مناسبة كريمة للتواصل وتعميق المودة، وإفساح لمقاييس الأخوة الإيمانية والمعاني الإنسانية أن تأخذ طريقها في الحكم على علاقات الناس بعضهم ببعض.

غير أن الذي لا يجوز نسيانه أو تناسيه ـ والأمة تعاني من صنيع يديها وتآمر أعدائها ما تعاني ـ أمور هي على غاية الأهمية فيما نعتبره تكاملاً موضوعياً مع هذا الذي نقول.

أ ـ فمن الواضح أن للعيد لوناً معيناً من العبادة؛ كالذي نراه في صلاة العيد والخطبة وصدقة الفطر في عيد الفطر والأضحية في الأضحى. غير أن الذي يبدو بارزاً ضمن هذه الأحكام: مشروعية التكبير «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد» على شيء من التفاوت في الحقبة الزمنية التي تأخذها ساحة التكبير بين الفطر والأضحى، ففي الفطر يبدأ التكبير من وقت الخروج إلى الصلاة وحتى الشروع فيها. وفي الأضحى يشرع بدءاً من صبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق. وفي صلاة العيد سبع تكبيرات في الركعة الأولى عدا تكبيرة الإحرام، وخمس تكبيرات في الركعة الثانية عدا تكبيرة القيام وهو مشروع في كلا الخطبتين. . . وفي هذا اللون من العبادة إشعار للمسلم بأن الله أكبر

من كل كبير، وأعظم من كل عظيم في نفسه وفي عالمه الخارجي، وعلى أي صعيد تحمله الحياة إليه أو تحمله عليه؛ فإن كانت السراء ذكر المسلم أن الله أكبر مما أصاب، فلا يكون باغياً ولا عادياً، لا تبطره النعمة القريبة، ولا تستخفه الفرحة العاجلة بما أوتي..

وإذا كانت الضراء.. فالله أكبر من المصائب والزلازل.. والله أكبر عند كل عقبة تعترض سبيل المؤمن.. وما أكثرها من عقبات!.. والله أكبر عند كل نازلة تحل بالأمة حيث الحاجة إلى رباطة الجأش أمام كل فتنة تدع الحليم حيران، وإلى الصبر في المواطن حيث يفتقد الرجال، وتبدو حاجة الأمة المسكينة إلى أولئك البررة الذين يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع.. وإلى الرضا بقضاء الله فيما أراد من حسن البلاء على طريق التغيير.. والتسامي بصدق الطمأنينة إلى ما وعد به عباده الصادقين، حتى كأن المغيب الذي لا تطوله حواسهم هو من عالم الشهود بين أيديهم وعن أيمانهم.. وفي ذلك ما فيه ـ والله هو الكبير المتعال ـ من الدفع القوي المشبوب بالإيمان إلى حيث القدرة على إعادة الأمور إلى نصابها في أن تنال الأمة حقها كاملاً غير منقوص في العالمين، سلامة عقيدة، وبنية فكر، وتحرير أرض، وصدق اتجاه يضمن أصالتها في معترك الصراع، ويردها إلى حيث تجمع بين الأصالة والتجديد، وتصل ما انقطع بينها وبين تراثها ولغتها من أسباب... إن ساعة مشرقة بالأمل العريض هي بانتظار المسلم الواعي في أن يكون التكبير اليوم إضاءة جديدة للنفس.. ودافعاً حركياً إلى العمل... وكلمة واعية في

التاريخ تجدد للتكبير شبابه في الصدور، حيث الرحلة التي ملأت دنيا الإنسان عبر القرون، تبدأ من غار حراء وتتحرك على أرض بدر والقادسية واليرموك، وكل معركة كان حداء رجالها التكبير.

ب ـ ومن الأمور الجديرة بالملاحظة والتبصُّر، ما نراه في الوجه الآخر من مشروعية الأضحية في عيد الأضحى، حيث يشدنا ذلك إلى ماض تاريخي مبارك في سيرة إسماعيل ـ عليه السلام ـ ووالديه، يُنبئ عن الكثير من التضحية والبذل في سبيل الله، وصدق التوجه إليه سبحانه، وإسلام الأمر إليه جلَّ وعز، وإفراده ـ وهو الغني عن العالمين ـ بالعبادة، مع اليقظة الواعية لتسويلات الشيطان وحبائله، وما يزينه من الصوارف عن الامتثال لأمر الله. فإبراهيم ـ عليه السلام ـ يُبتلَى بالأمر بذبح ولده الذي بلغ معه السعي وأصبح على عتبة الشباب، يُبتلَى بهذا الأمر الإلهي وهو الوالد الذي رزق هذا الولد بعد أن وهن منه العظم ودلفت إليه الشيخوخة، ودب دبيبها لتلفه من هنا وهناك.. وابتلي إسماعيل بإرادة أن يُذبح امتثالاً لأمر الله، فلا عاطفة الأبوة حجزت من الإقدام، ولا غريزة حب الحياة أمكن أن تحول دون الطاعة والامتثال: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. ولا تسل عن الأم في أمومتها وعواطفها، وما أودع الله في صدرها من حنان تعجز أقلام البشر عن وصفه.. هذه الأم لم يكن منها إلا ما كان من زوجها وولدها والله المستعان. الكل صادق الوجهة في ظل شعار عنوانه ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. وحين

يعترض إبليس يُذكِّر بعاطفة تَحُول دون تنفيذ ما أمر الله يكون نصيبه الرجم. . . أوليس من عظيم منة الله أن نستذكر هذا الذي كان، ونمتحن أنفسنا، بل نحاول تجديد البنية الفكرية والشعورية للمسلم في ضوء هذه الوقائع التي انتهت بما كان من الرحمة الإلهية ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

فنحن اليوم نضحي إذ الأضحية واجبة أو سنة مؤكدة، فماذا علينا إلى جانب مشروعية إراقة الدم، وما يكون من التعاون الاجتماعي، والمشاركة في الفرحة الغامرة على قدم المساواة قدر المستطاع؟ ماذا علينا ونحن اليوم على ما نحن عليه من حال لا نغبط عليها؟ علينا أن نتيح لهذه الوقائع والأمور المشروعة أن تأخذ طريقها إلى أعماق النفس، فتعمل عملها تغييراً وتبديلاً، وإزاحة للركام، حتى نصبح مؤهلين لتنزلات رحمات الله، ونسلك طريقنا على بصيرة وهدى. . .

ماذا علينا لو أفسحنا الطريق للإرادة الحازمة أن تفرض سلطانها، فينحسر القزم ويتحرك العملاق، فنسمو فوق عوائق التضحية والبذل في سبيل الله، ونرجم الأبالسة والصوارف. . إننا بشيء من محاسبة النفس والمكاشفة، ومراجعة الرصيد بشجاعة الرجال نستطيع ـ بعون الله ـ أن نخطو الخطوة التي تضعنا على الجادة. . وعندها لا يكون نصيب تلك الوقائع منا نوعاً من الاجترار والمفاخرة التي تلهي عن العمل وتقعد بصاحبها عن الحركة الفاعلة المؤثرة. . كلا. . بل يكون من نصيبها أن تفجر طاقات الفرد، وإمكانات

الجماعة، وتحمل إلى ساحات الإيثار والتضحية بالأنا والشهوة قبل كل شيء، بعد الاعتزاز بما من أجله تكون التضحية ويكون الإيثار.

جـ ـ وليس ما قلناه بمغن عن التذكير بأن العيد في حقيقته شرعة من الله للأمة، وتنمية الحس الجماعي بكل ما شرع الإسلام للجماعة غرض واضح من أغراض هذا الدين السمح الكريم. وإذا كان الأمر كذلك، فلن يكون العيد عيداً بالمعنى العام ـ وفيما وراء إقامة الشعائر ـ إلا حين تأخذ الفرحة طريقها إلى الجميع.. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم. وإن لزاماً على أبناء الأمة أن يخرج الأمر في هذا الباب عن دائرة العواطف المبتورة عن العمل إلى العمل الجاد المثمر المرتبط بتحقيق ما أمر الله... وذلك كله يستدعي سابقة تصور صحيح لمعنى الأخوة الإيمانية، ذلك التصور الذي يشعر بنسب الإيمان بين الأخوة مهما تناءت الديار واختلفت الألسنة والألوان... وهذا جزء من التصور الحقيقي أيضاً لمعنى الدين ومدلوله وطبيعة الرابطة في ظل راية الإسلام..

ولكن عندما بدأت الجفوة وأصبح الدين عاطفة موروثة عند كثير من عوام الناس يقتصر على النطق بالشهادتين وأداء بعض العبادات حيناً وهجرها حيناً آخر، وبضاعة للتكسب أو المباهاة والمفاخرة عند بعض من ندعوهم بالعملاء في بعض الأحيان.. عندما أصبح الدين بضاعة مزجاة من ناحية التصور والالتزام والشعور بالمسؤولية.. بدأت تجفونا الحياة، ولا تستجيب لنا الوقائع، ونزعت مهابتنا من صدور أعدائنا، وسقطنا في مهواة العبودية

لغير الله، وسُلط علينا حتى اليهود أذل خلق الله؛ وليس لها من دون الله كاشفة.

إنه لأمر عظيم أن نذكر في العيد معاني العيد شرعة شرعها الحكيم الخبير..

وإنه لأمر عظيم أن يعمل الرواد على توعية أبناء الأمة ليكون منهم سلامة التصور لطبيعة هذا الدين وما شرع الله من أحكامه..

وإنها لخطوة ميمونة مباركة أن ينقلنا العيد إلى ساحة نستشعر فيها عظمة الله وثقل الأمانة والجهاد والتضحية، وأي شيء هي حقيقة أخوة الإيمان، التي نحن اليوم - والعالم الإسلامي يعجُّ بالمآسي والنكبات - أحوج ما نكون إلى ترجمتها العملية على صعيد الوقائع، تراحماً، وتآزراً، وتعاوناً على دفع الأذى، وصدِّ ظلم المعتدين الغاصبين. والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الأمة وصاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام (*)

هكذا يدور الزمن دورته، ويحمل إلينا تقلب الشمس ذكرى مولد النبي الكريم محمد بن عبدالله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ. وأكرم بها من ذكرى تطل ـ بما تحمل من الشذى وبما هي مثقلة به مما أثمرت من الأحداث والوقائع ـ والأمة أحوج ما تكون إلى أن تدرك من جديد معنى صلتها بالرسول الكريم الذي أسلم إليها قيادة العالم خلال العديد من القرون، وإلى امتحان قدرتها اليوم. . ـ والحال هي الحال ـ على ترجمة العقيدة التي حملتها عنه، والمفهومات التي طرحها على طريق الإنسانية من خلال الكتاب والسنة وسيرته المباركة البناءة، إلى عمل يجدد للأمل شبابه بعد ما يشبه اليأس، وإلى حركة توقظ من الغفلة بعد ضياع، وإلى منهج يجند الطاقات المبعثرة بعد شتات، في ظل قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾.

إن ذكرى مولد محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي كانت إيذاناً بفجر جديد، طلع على الدنيا، والأرض ـ كل الأرض ـ أشد ما تكون عطشاً إلى كلمة الحق، وإلى قبس يدلها على الهدى، ويطلق أسارها من سلطان الشيطان والطواغيت. . إن هذه الذكرى أمانة تثقل كواهل العقلاء، وحجة على هذه الأمة التي خالفت عن أمر الله في الكثير من شؤون حياتها، وباتت

(*) مجلة حضارة الإسلام: العدد الأول، السنة الرابعة عشرة.

تنظر إلى رسالة نبيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي أنقذها الله به من الهلكة ـ نظرة اللهو الساخر والشهوة الماكرة، فهي تريد من الإسلام ما لا يكون حرباً على الهوى وتسويلات الشيطان، وما قد يكون أقرب إلى السلامة وأبعد ما يكون عن ساحة المسؤولية والالتزام.

وليس من مكرور القول أن كل منصف تتسم نظرته إلى تاريخ رسالة صاحب الذكرى بالموضوعية: يعلم أن بعثته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جاءت وكأنها نهاية لعهد طفولة البشرية وبداية لعده الرشد والاكتمال، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخرج الناس ـ بحق ـ من الظلمات إلى النور، وأنه كان في نفسه، وفي سلوكه، وصدق وجهته، والثقة بما كان يدعو إليه، وعنايته بكل جوانب النفس الإنسانية، ونظرته الشاملة إلى كل جوانب الحياة، خير من تمثل فيه القدرة الكريمة والأسوة الحسنة.

والأمة التي تنتسب إلى إمام الأنبياء وسيد العالمين: جدير بها ـ وهي تعاني ما تعاني من الإعراض عن منهج الله ـ أن تكون لها الوقفة الواعية من خلال هذه الذكرى، فيخفق القلب لكل حركة عطَّرت سيرته، وتهتز النفس لكل قطرة دعم غسلت طريق الإنسان، وأنبتت على الأرض العطشى للخير، أبطالاً كانوا بناة الحضارة، ورواد الكلمة الطيبة في العالمين.

إننا حين ندعو بهذه الدعوة ـ ودع عنك الذين يتبرعون بوضع العناوين للناس ـ إنما نعني أن تكون الكوارث لهيباً جديداً للعزائم، ومراجعة للحساب، ونظرة واعية تضع أصابعنا على مكامن القوة في الفكر والعمل.

فلقد وضع رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ببعثته الأسس لخريطة جديدة للعالم هي غير ما كانت عليه قبل البعثة، كما امتدت يده الحانية الكريمة إلى المعادن تصوغها، وإلى الكفاءات تضعها في مكانها الطبيعي على قاعدة [إن أكرمكم عند الله أتقاكم]، فحرّر الإنسان من العبودية لغير الله، وأخرج العرب من الجزيرة ليكونوا القادة، بعد أن كانوا على حال لا يحسدون عليها من قبل. وفجّر طاقات الفرد ووضعها في خدمة الدعوة بعد أن كانت في خدمة العصبية الفارغة، والجاهلية الجهلاء في كثير من الميادين، وبنى المجتمع الذي تسوده الشريعة العادلة، والخلق القويم.

ولما كان للفكر دوره الفعال في تحديد المنطلقات وسلامة التصور ووضوح الغاية، في مستهل الطريق للعمل: فقد كشف رسول الله الستار عن العلاقة بين الدين والعلم حين كانت أول كلمة أوحي بها إليه هي قوله تعالى ﴿اقْرَأْ﴾ ويزداد عجبك وحرصك على الوقفة المتأملة الواعية إذا ذكرت أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمي لا يقرأ ولا يكتب، والمَلَك يَغُطُّه مرات ثلاث وفي كل منها يقول له: اقرأ، حتى قال الثالثة ناطقاً بكلام الله عز وجل، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ورسم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ للمسؤولية سلطاتها في علاقة المرء بالدين والعمل وبأحكامه، فجعل القضية منوطة بالتكليف، لا بطبقة معينة هي طبقة رجال الدين ـ فلا واسطة بين الله والعبد، وكلكم راع وكلكم

مسؤول عن رعيته، ويجيء الخطاب القرآني بصيغة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، ومحور صيغ التكليف (افعل، لا تفعل) لكل من توافرت فيه هذه الأهلية بعد الإيمان، المرأة والرجل سيان في مسؤولية حمل الأمانة، كلٌّ بالقدر الذي هيأه الله له في صيغة تكاملية لا تدع زيادة لمستزيد.

وهذا الأمر حال دون أن يكون لطبقة من الناس سلطان على الآخرين باسم الدين، ويكون من مهمتها أن تجعل من الدين أحاجي وألغازاً، لا يملك أحد مفاتيحها إلا هي، وربما اتخذت الدين مأكلة، وطريقاً لخدمة طبقة تتعالى على الناس، أو ظالم يسومهم سوء العذاب كالذي حصل في أوربا خلال القرون الوسطى.

كما حال ذلك أيضاً دون التهرب من المسؤولية؛ بحجة أن لا علاقة لأحد بأمور الدين أو الغيرة على شريعة الله، وأن المنوط بهم هذا الأمر إنما هم «رجال الدين». فالمسلمون - بالمعنى الاعتقادي، والعمل بحق هذا الاعتقاد، والشريعة التي تبنى عليه - كلهم رجال دين، كل في ميدانه يعمل بالدين ويلتزم أحكامه. . ويظهر ذلك جلياً حين نذكر أن مفهوم الدين في الإسلام ليس حبيس ذلك المعنى اللاهوتي المعروف، ولكنه عقيدة انبثقت عنها شريعة، ونظام يسير في ظل هذه الشريعة يحرسه الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترعاه عبادة الله وحسن الصلة به على الدوام.

ولقد يكون من الخير - ونحن نجيل الطرف في بعض من زوايا هذه الساحة المباركة - أن نذكر أن مدلول «لا إله إلا الله» هو ترجمان لهذا الذي ذكرنا.

فالحاكمية لله، والطاعة لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ طاعة له سبحانه. ومعنى الإقرار بهذه الكلمة الطيبة ـ كلمة التوحيد ـ أن هناك التزاماً بمدلولها فيما ترسمه على صعيد الفرد والجماعة والدولة والأمة. ولسنا بسبيل أن نهدر شيئاً من الوقت في الأخذ والرد مع أولئك الذين يريدون لنا أن يكون حظنا من «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حظ المريض يكرر كلمات وصفة الطبيب كلمة بعد كلمة، وربما تلذذ بذكر التاريخ الذي كتبت فيه أيضاً، دون أن يتناول واحداً من أصناف العلاج المكتوب.

إن صدق ادعاء الاعتقاد بـ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» يكمن في العمل بحقها، وتطبيق مدلولاتها من خلال القرآن الكريم الذي فيه العقيدة والشريعة والعبادة والأخلاق والعبر والسلوك، ومن خلال حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي هو بيان للكتاب. ولاحقة لابد منها نبصرها من خلال كلمة التوحيد: ما يحملك إلى ساحة الشعور الإنساني، بعيداً عن الأفكار الوافدة مما وراء السهوب والبحار، فيما يسمى الحقد الطائفي وما إلى ذلك ﴿**وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾. فمن الظلم الظالم أن نأخذ مفهومات القرون الوسطى في أوروبا ثم نلقي بها على أكتاف رسالة الإسلام زوراً وبهتاناً حين يحلو للبعض أن يتمطى على أرائك من المنطق الصوري، فيشهر علينا سلاح القياس عند أرسطو، متعسفاً باستعماله ليقول: تلك مفهومات الدين، والإسلام دين، فتلك مفهومات إسلامية لابد من

الإعراض عنها لتنهض من عثار كما نهضت أوروبا بفعلها ذلك. يقول هذا جاهلاً أو متجاهلاً حضارة كشفت بإنسانيتها وسلامة منطلقاتها وغاياتها كل خطوط الزيف والانحراف في العالم، بما كرمت الإنسان، وعرفت قدر العلم وأوضحت دور العقل في معرفة الله وتدبر آيات الكون، وحاربت التقليد الأعمى، ولم تدع باباً من أبواب المعرفة إلا ولجته من أوسع أبوابه.. وكانت العقيدة التي فتحت فتوحها في آسيا وأفريقيا بل وأوروبا لعدة قرون، ولم تعجز الشريعة التي انبثقت عنها أن تحكم تلك الرقعة الكبيرة من المعمورة بدقة وشمول لكل ميادين الحياة معطية للنصوص قدرها، وللاجتهاد قدره في ميدانه حيث النصوص تتناهى والوقائع لا تتناهى..

وياليت أولئك الذين ليس لهم من ذكرى المولد إلا تحركات على السطح وعناية بالمظاهر ذراً للرماد في العيون.. ليت هؤلاء حرصاً على مدلول الذكرى يتدبرون شيئاً من كتاب الله، إذن لوجدوا آيات العقيدة بجانب آيات الشريعة، ولرأوا آيات الصلاة والصوم تواكبها آيات المداينة والبيع والشراء والشورى في الحكم والوفاء بالعقود، ترى.. أليس لذلك من مدلول؟؟ أوليس من الضرورة بمكان أن يحرص المرء على عقله حين يفكر؟!

ألا إن الأمة اليوم ممثلة في شبابها المدرك الواعي، والرواد من أبنائها البررة الصادقين، مدعوة إلى مراجعة جريئة.. نعم.. إلى مراجعة واعية ورشيدة أيضاً لما يجب أن تكون عليه الصلة بصاحب ذكرى المولد ـ صلوات

الله وسلامه عليه ـ، وآن للأمة أن تفعل ذلك، وماذا هي منتظرة بعد الذي دهاها من الظلام الحالك، والنكبات التي يأخذ بعضها برقاب بعض.

إن شهر ربيع الأول بما يحمل من طيب الذكرى وعطر التاريخ، ونقطة البدء لرحلة مباركة كانت ضياء الزمان، وعنوان كرامة الإنسان.. جدير أن يحرك العزائم، ويوقظ الهمم لعهد جديد مع سيد العالمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن نكون عند مدلول العقيدة، وعند صدق المحبة لله ورسوله. ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾. مدركين أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يكون رسول الله أحب إليه حتى من والده وولده ونفسه التي بين جنبيه.

ولقد تتعثر وأنت ترتحل عبر الآراء باتجاهين اثنين:

أما أحدهما: فذاك الذي يريد أن يهون من شأن العلاقة بين الأمة وبين نبيها ـ عليه الصلاة والسلام ـ من خلال هذه الذكرى، لما أن ذلك أمر يدخل في حدود الأمور الروحية واللاهوت، والحياة اليوم تحتاج إلى غير هذا.

وأما الثاني: فهو الاتجاه الذي يجعل علاقة المسلمين بالذكرى: علاقة تتسم بالسطحية والاكتفاء بالمظاهر التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فحسبنا أن نقول احتفلنا، ويكفينا للحكم على زيد أو عمرو في صدق العلاقة بالنبي ـ صلوات الله عليه ـ وشرعته وتطبيق أحكام الدين الذي جاء به، أنه أتاك بشيء يسمونه احتفاءً بالمولد وما إلى ذلك.

إننا نود - من كل قلوبنا - أن يكون لنا دائماً الاحتفاء بسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي تفيض بالعطر، وأن نفتح القلوب والنفوس لشمائله الكريمة، وأن نفسح للتربية المكان اللائق لهذه الشمائل، حتى يتربى الفتى والفتاة على خير ما يكون، محبة لهذ الرسول الكريم، وتطلعا واعياً إلى التأسي بأخلاقه - عليه الصلاة والسلام -، وسلوكه في نفسه وفي أهله، ومع الجماعة والأمة، حيث يتجلى كمال الخلق فيه، زوجاً وأباً وأخاً، وحاكماً وقائداً، فضلاً عن كونه - فداه أبي وأمي - رسولاً يوحى إليه . . ووراء ذلك كله، أن يكون ذلك إيذاناً بتحول صادق إلى حيث يريد هو - عليه الصلاة والسلام - . ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ .

غير أن حجم القضايا التي تعاني منها الأمة اليوم - وهي أكبر بكثير من الطاقات - مدعاة إلى أن يداخل البعض نوع من الاستغراب في هذا الميدان . . ولكن الذي نريد أن ننبه عليه : أن التحول شطر مدلولات الإسلام بحذافيرها لا يمكن أن يكون عند الجميع بين عشية وضحاها، وطريقة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنهجه الذي التزمه في التربية وسيرته في بناء الجماعة المسلمة . . كل ذلك هو الجواب على كل استغراب يقع . . فالرسول - عليه الصلاة والسلام - إنما كان همه الأول وقد تأبَّت مكة على الدعوة، وظاهَر الشرك على التوحيد أن يُعنى بتربية تلك القلة المؤمنة التي إذا قارنت عدد أفرادها من رجال ونساء - بالحقبة الزمنية للعهد المكي - رأيت العجب

العجاب، فإذا أدركت ما أثمرت في العهد المدني، جهاداً وانتصارات، وقيادة للمجتمع، وتحكيماً لشريعة الله، وتقديم ما قدمت للبشرية من أسس الحضارة الرشيدة.. بلغ بك العجب منتهاه وأدركت أن العبرة كانت بالكيف لا بالكم، وأن الكثير من الفوز إنما يعود إلى صدق تلك القلة المؤمنة التي تربت خلال ثلاثة عشر عاماً في مكة وسقت الأرض بالدم الصابر، وكان العذاب ومحاولة الفتنة عن الدين ضياء الطريق لها ولقافلة الخير في العالمين. وقد ظهر أثر ذلك كله فيما بعد. وفي يقيننا أن معارك الإسلام الظافرة التي صنعت التاريخ مدينة لهذه الحقبة ولبناتها في دنيا الإسلام. وهذا لا يعني أن الإعداد قد انتهى بانتهاء العهد المكي، ولكن يعني أن الثمرة الطيبة ترتد في أصل شجرتها إلى هذا الإعداد الإيماني الصادق، والتزكية المحمدية الفاضلة.. حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً فيما بعد.

ولقد كان من خير ما أثمرته هذه التزكية تلك الاستجابة السريعة لدعوة الله والرسول عند الفرد والجماعة للعمل والالتزام والتضحية في أمثلة ونماذج تعز على الحصر، وهذا ما لا نكاد نجده اليوم إلا في نقاط قليلة مضيئة هنا وهناك ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ وإذا اتضح ذلك أدركنا من أين يجب أن تبدأ الطريق.

مرة ثانية: إننا في مفتتح السنة الرابعة عشرة للمجلة نرجو أن يكون لنا من ذكرى مولد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ حافز للعمل الصالح، يتمثل في منهجية واعية تدرك الكليات والجزئيات، وتربط الوقائع بدوافعها

وبواعثها، حتى يسلم للأمة بناء الفرد وتكوين الجماعة والانتصار على اليهود ومن وراءهم . .

والله المسؤول أن يأخذ بأيدينا إلى مرابع توفيقه، وأن يكرمنا بعنايته، لكي تسهم المجلة ـ بجهود الكُتَّاب والدعاة والباحثين ـ في هذا الميدان بنصيب موفور إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وشكر الله لكل الإخوة العاملين الذين يبذلون الجهد في سبيل أن تتابع «حضارة الإسلام» طريقها . . وصلى الله وسلم على صاحب الذكرى نبينا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين .